

الحياة الصحفية في فلسطين نشأتها وتطورها (١٨٧٦-١٩٧٦)

بقلم الدكتور قسطندي الشوملي

"الجرائد نغمر السلام وصوت الامة وسيف الحق
النافع وبحيرة المظلومين وشكيمة الظالم ، فهي
تهز عروش القياصرة وتدك معالم الظالمين"
"تولستوي"

تمهيد

الصحافة مرآة تعكس صورة واضحة لحياة الامة، من كل أبعادها ومختلف اتجاهاتها، وتساهم في تطوير حياتها الفكرية والاجتماعية والسياسية والعلمية والفنية. ولقد بلغ من تقدير المجتمع لها، أن أطلق عليها لقب صاحبة الجلالة أو السلطة الرابعة، بعد السلطات التنفيذية والتشريعية والقضائية. والصحافة مورد من موارد تغذية الافراد بالمفيد النافع من المعلومات العامة، بالإضافة الى أنها مصدر تسلية ومتعة.

بدأت الصحافة العربية بالظهور في فلسطين في أواخر القرن التاسع عشر، وارتبطت نشأتها ببداية النهضة. فما أن اقترب القرن الماضي من نهايته، حتى استيقظت فلسطين ونفضت عنها خمول نومة طالت أربعة قرون. وكانت يقظتها نتيجة مجموعة من العوامل توالى تباعا. وكانت الحملة التي قادها نابليون بونابرت الى مصر، واندفع بها حتى بلغ أسوار عكا في فلسطين، قد تركت أثرها الواضح في زيادة تأثير الثقافة الأوروبية على الشرق، فهي التي حملت المطبعة العربية الى مصر، وكانت القوة الطلائعية الفرنسية أول من قام بعمل دراسة خرائطية علمية لفلسطين. ومهما قيل في الغاية السياسية والاقتصادية التي كانت ترمي اليها هذه الحملة في ذلك العهد، فقد كانت بمثابة الطريقة الشديدة على باب الشرق ليصحو من سباته الطويل، ونوعا من اللقاء بين الشرق والغرب عن طريق مصر وفلسطين، اللتين تمثلان موقعا جغرافيا هاما. (١)

وترك احتلال محمد علي باشا لفلسطين في عام ١٨٣٢ لمدة تسع سنوات ، أثره في التنظيم والامن والنشاطات الثقافية، واستطاع نظام التعليم الذي أدخله القائد ابراهيم بن محمد علي وبالرغم من عمره القصير ، ان يحدث نهضة كبيرة . ولقد انتشر التعليم بفضل تأسيس المدارس الاميرية ، ومهد هذا السبيل ل نهضة علمية وأدبية . وكانت مصر في عهد محمد علي قد نعمت بنهضة علمية مباركة التقت فيها الثقافة العربية بالثقافة الغربية . (٢)

وزاد انتشار المدارس عدد المتعلمين ، فبرز عدد من الادياء والكتاب ، وانتشرت حركة التأليف والترجمة ، وتدعمت الحركة الفكرية والادبية ، وتوثقت الصلة بين الشرق والغرب . وكانت البعثات الدينية التي أنشأت الاديرة والمدارس ، واشتغلت بالتعليم وترجمة الكتب ، واستقدام المطابع ، قد أثرت في بعث هذه النهضة (٣) . وكانت مطبعة دير الروم في القدس التي تأسست عام ١٨٥٢ ، المطبعة الاولى التي دخلت فلسطين ، وهي لا تزال قائمة حتى الان . وكان البطريرك اللاتيني في القدس في نهاية القرن التاسع عشر ، يشرف على اثنين وخمسين معهدا تربويا ، وأربع مدارس صناعية ، وخمسة مستشفيات ، وست عشرة دارا للايتام .

نشأة الصحافة العربية :

ارتبطت نشأة الصحافة الفلسطينية ، بنشأة الصحافة في البلاد العربية الاخرى ، فلم تتطور الصحافة في فلسطين خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر كما تطورت في البلاد العربية ، بل اعتمد القارئ الفلسطيني على الصحافة السورية واللبنانية والمصرية ، التي سبقت في نشأتها الصحافة الفلسطينية . وصدرت أول صحيفة عربية ، أثر مجيء الحملة الفرنسية الى مصر عام ١٨٠٠ ، منذ أن أمر الجنرال بوناپرت باصدار صحيفتين فرنسيتين ، وصحيفة ثالثة باللغة العربية دعيت باسم "التنبيه" ، لاذاعة المهم مما يجرى في ديوان القضايا والادارة ، الذي كان يشرف عليه أحد أعوانه واسمه "فورييه" ، والذي كلف كاتباً مصرياً بتحريرها هو اسماعيل ابن سعد الخشاب ، وهو من خريجي الأزهر (٤) . وبعد خروج الحملة الفرنسية من مصر ، بقيت البلاد العربية محرومة من انتشار الصحافة الى أن جاء محمد علي الكبير والي مصر ، فأصدر عام ١٨٢٧ جريدة "جورنال الخديوى" ، والتي سرعان ما تحولت الى "الوقائع المصرية" . وكانت تصدر أول عهدها باللغة التركية ثم صدرت باللغتين التركية والعربية ، وعادت فاحتجبت ثم صدرت باللغة العربية المحضة ، وقام بتحريرها رفاعة الطهطاوى الذى تتلمذ في الأزهر ، وألم بالثقافة الغربية وتأثر بها . وكان أول عربي أصدر صحيفة عربية باسمه ، هو رزق الله حسون الحلبي ، منشيء جريدة "مرآة الاحوال" في الاسكندرية عام ١٨٥٥ . وكانت أول جريدة عربية انشئت في البلاد العربية هي "حديقة الاخبار" التي أسسها

خليل الخوري اللبناني، عام ١٨٥٨ واستمر صدورها حتى ١٩١١، أما أول من استعمل كلمة صحيفة بمعنى جريدة فهو رشيد الدحداح صاحب جريدة "بريجيس باريس" التي كانت تصدر في باريس والتي تعتبر من أوائل الصحف العربية. (٥)

وحتى لا يتشعب بنا البحث أو يمتد، فقد رأيت ان أقسم دراسة الحياة الصحفية في فلسطين الى أربعة أجزاء : الاول يتعرض للصحافة الفلسطينية في العهد العثماني، والثاني يتعرض للصحافة في عهد الانتداب البريطاني، والثالث يتعرض للصحافة في عهد المملكة الاردنية الهاشمية، والرابع في عهد الاحتلال الاسرائيلي. وسنحاول في كل جزء من هذه الاجزاء ان نستعرض الصحف التي ظهرت في كل عهد، وان نلم بجهود أولئك الذين أقاموا بناءها، والظروف التي مرت عليها، محاولين قدر المستطاع ان نحيط بكل الصحف التي ظهرت. ولا بد من الإشارة منذ البداية، الى أن هذا البحث سيعرض الحياة الصحفية في فلسطين، دون بحث الدور الذي قامت به هذه الصحافة في الحركة الوطنية في عهدها المختلفة، أو دراسة أثرها على الحياة الادبية بعمق وتفصيل، لان كلا الجانبين يحتاج الى دراسة مستفيضة ومستقلة.

الصحافة في العهد العثماني :

تميزت فترة الحكم العثماني في فلسطين، بانتشار الجهل والتخلف، وتفشي الظلم والفساد والتسلط. وفي مثل هذا الواقع المظلم، كان من الصعب ان تنشأ الصحافة أو تتطور. وبقي الحال على هذه الصورة حتى قامت جمعية تركيا الفتاة ولجنة الاتحاد والترقي، في عام ١٩٠٨ باجبار السلطان عبدالحميد، الى اعادة الدستور والغاء الرقابة والجوايسيس، فادى ذلك الى ظهور عدد من الصحف والمجلات في فلسطين. واعتمدت هذه الصحف في بداية عهدها على الترجمة والنقل من الصحافة العربية، التي كانت تحت تأثير الصحافة الفرنسية ومجلاتها المنتشرة في القاهرة وبيروت، والتي كانت مقروءة من قبل أوساط المثقفين. وكانت بيروت في مطلع القرن الحالي، مركزا للطباعة العربية في الشرق، ومركزا ثانيا بعد القاهرة للصحافة والادب.

ولقد صدرت في فلسطين عام ١٨٧٦ جريدة رسمية باللغتين العربية والتركية، وكانت هذه هي الجريدة الرسمية الاولى في البلاد (٦)، وهي أول جريدة تصدر في فلسطين في أواخر القرن التاسع عشر. وكانت تسمى "القدس الشريف" وتصدر بصورة شهرية. وكانت تنشر الفرامانات والانظمة والاوامر التي تصدرها الحكومة. وكان يحزر القسم العربي فيها الاستاذ علي الريمأوى ويساعده الاستاذ راغب

الحسيني، ويحرر القسم التركي فيها الاستاذ عبدالسلام كمال. وكانت هذه الجريدة صغيرة الحجم وتطبع في المطبعة المأمونية في مدينة القدس. ولقد توقفت عن الصدور عام ١٩٠٨ لتعود الى الظهور من جديد في عام ١٩١٢. وصدرت في القدس في نفس العام (١٨٧٦) جريدة أخرى تحمل اسم "الغزال"، وكانت شبه رسمية تنشر الانظمة الرسمية والقوانين التي تصدرها الحكومة العثمانية باللغة العربية. وكانت مواعيد صدورها شهرية أيضا.

٢

النَّفَائِسُ الْعَصْرِيَّةُ

مجلة أدبية فكاهية تاريخية

تسار

خليل بédas

الجزء الثاني شباط ١٩١٤ السنة السادسة

قبر الأشرار

ميري ونصف في اليهود العمانية و١٠ فرنات في الخارج

AN-NAFAIS AL-ASSRIAN

Revue Littéraire, Humoristique et Historique

Sixième Année

Propriétaire-rédacteur

KHALIL BÉDAS

Jérusalem, Palestine

طبعة دار الأبنام السردية • القدس

ويعتبر عدد من الدارسين (٧) ان جريدة النفير العثماني التي أنشأها ابراهيم زكا في الاسكندرية عام ١٩٠٤، أقدم جريدة فلسطينية عربية. لانها كانت أول جريدة يصدرها فلسطيني باسمه. ولقد انتقلت الى القدس عام ١٩٠٨ وأطلق عليها اسم النفير. ثم انتقلت الى حيفا واستمرت تصدر أسبوعية أو نصف أسبوعية الى ما بعد دخول الانتداب البريطاني. ثم صدرت في مدينة القدس عام ١٩٠٦ جريدة شهرية كان يحبرها طلبة مدرسة صهيون الانجليزية تحمل عنوان "باكورة جبل صهيون" (٨) وكانت توزع على طلاب المدرسة وتنشر الموضوعات الادبية والعلمية.

وكان اعلان الدستور في عام ١٩٠٨ والثورة ضد السلطان عبدالحميد، قد أدى الى ظهور عدد من الصحف. وصدر خلال هذا العام وحده في مختلف المدن الفلسطينية، أكثر من احدى عشرة صحيفة هي: جريدة صهيون الجديدة عن بطيركية الروم الارثوذكس، وجريدة الديك الصباح وكانت خطية، وكذلك جريدة الاحلام، ومنبه الموت، والبلبل، والطائر، وبشير فلسطين، وناقاة الله، والانصاف، والنجاح، والنفائس العصرية. كما صدرت في ذلك العام أول صحيفة مقدسية وهي "جريدة القدس" لصاحبها جورج حنانباووفي عام ١٩٠٩ صدرت أول جريدة عربية في يافا على يد بندلي عرابي باسم "الاخبار"، وصدرت في نفس العام جريدة الاصمعي للاستاذ حنا عبدالله العيسى، والدستور التي كان يشرف على تحريرها المربي الكبير الاستاذ خليل السكاكيني، مؤسس المدرسة الدستورية في القدس. وفي عام ١٩١٠ صدرت جريدة الاعتدال اليافي وكان يحبرها بكرى السمهوري، والحرية لتوفيق السمهوري، والترقي لعادل جبر، وجريدة أخرى باللغة الانجليزية كانت تصدر بالقدس وتحمل اسم "تروث" واشترك في تحريرها الاستاذ متري فرج، كما ظهرت الكرمل، والصدق، وصوت العثمانية.

وظهرت في عام ١٩١١ جريدة "فلسطين" التي أصدرها عيسى داود العيسى ويوسف العيسى في مدينة يافا. وكانت في أول عهدها أسبوعية صغيرة، ثم أخذت تظهر مرتين في الاسبوع، ثم تحولت الى جريدة يومية بثمانى صفحات فيما بعد. وتعتبر هذه الجريدة من أرقى صحف فلسطين وأكثرها قيمة، ولقد استطاعت فيما بعد ان تصبح من أهم الجرائد وأكثرها انتشارا. وعندما نشبت الحرب العالمية الاولى، أوقفت الحكومة التركية هذه الجريدة وأبعدت صاحبها الى الاناضول مع رئيس تحريرها الاستاذ يوسف العيسى. وصدرت في عام ١٩١٢ في مدينة القدس جريدة "المنادى" وكان يحبرها الاستاذ سعيد جادالله، وصدرت في حيفا جريدة الصاعقة لجميل رمضان. وفي عام ١٩١٣ ظهرت الدستور لجميل الخالدي.

وكانت الصحافة في عام ١٩١٤ قد ضربت جذورها في المجتمع الفلسطيني، فظهرت المجلات الادبية، كمجلة النفائس العصرية التي أنشئت عام ١٩٠٨، وكان

يحررها الاستاذ خليل بيدس، وكانت مجلة شهرية، وتعتبر المجلة الادبية الاولى في فلسطين. وكانت تهتم بشؤون الادب والتاريخ، وانتقلت الى القدس من مدينة حيفا واستمرت في الصدور حتى نشوب الحرب العالمية الاولى، حيث احتجبت ثم عادت الى الظهور في عهد الاحتلال البريطاني. ولقد أضاف المحرر كلمة العصرية الى العنوان في السنة الثانية لصدورها، لتمييزها عن مجلة النفائس التي كانت تصدر في بيروت.

ومن المجلات الادبية التي كانت تصدر في القدس مجلة الاصمعي، وكان يحررها الاستاذ حنا عبدالله العيسى. ولقد لاقت هذه المجلة اهتماما عظيما من الادباء العرب، ولم تكن أدبية بكل معنى الكلمة، بل كانت تجمع الملاحظات والاخبار والابحاث. وفي عام ١٩١٢ ظهرت في القدس مجلة المنهل التي كان يحررها محمد موسى المغربي، وشارك في تحريرها ايضا اسعاف النشاشيبي وحبيب خوري وخليل السكاكيني وعارف العارف والشيخ علي الريماوى وأمين ظاهر خيرالله وأديب فرحات وتوفيق كنعان ونعيم الحلو ويوسف سليمان العزة. وكانت معظم المقالات التي تنشر فيها تبحث في موضوعات تاريخية.

ثم جاءت الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤، لتقضي على هذه الصحافة التي ما زالت في بداية نشأتها، فتوقفت عن الصدور حتى نهاية هذه الحرب. ولقد بلغ عدد الصحف العربية التي صدرت خلال السنوات العشر الاخيرة في ذلك العهد، ثلاثون صحيفة تقريبا. وكان عمر هذه الصحف قصيرا في الغالب، يتراوح بين بضعة أشهر وسنة، ومنها ما تعدى الى سنتين ومنها ما استمر من سنة ١٩٠٨ الى عام ١٩١٤. ولقد وضعت هذه الصحف الصغيرة ذات الاربع صفحات، بموادها الاجتماعية والسياسية، حجر الاساس للصحافة العربية في فلسطين، والتي أخذت تنمو وتتطور خلال ثلاثين سنة في عهد الانتداب البريطاني. (٨)

وقامت الصحافة الفلسطينية في تلك الفترة بخدمة الحاجات المحلية في البلاد، وأدت الى تقوية الروح القومية والإحساس بالوعي. فمنذ ان ظهرت الصحف في فلسطين، وهي منبر لرجال الإصلاح وحاملي لواء الوطنية. فلقد سعي أصحاب الجرائد الى استخدام الصحافة لمعالجة المشكلات التي كانت تشكو منها البلاد، حتى أصبحت الدعوة الى الإصلاح من أهم موادها.

وكان الرواد الأوائل لحركة الصحافة الفلسطينية في العهد العثماني، كما هو الحال في كل مجتمع متطور، هم قادة الحركة الفكرية والادبية والسياسية والدينية أمثال اسعاف النشاشيبي وخليل السكاكيني وعبدالله الريماوى وأكرم زعيتر وعلى الدجاني وروحي الخالدي وعيسى العيسى وحنا عبدالله ونجيب نصار وعادل جبر

وموسى المصرى وغيرهم . ويضيق بنا المقام هنا في تعداد أسماء جميع الادباء والشعراء والمفكرين الذين شاركوا بصورة فعالة في الحياة الصحفية في فلسطين ، أو أنشأوا صحفا خاصة بهم لنشر دعوتهم . فتاريخ صحافة فلسطين حافل بالامثلة الكثيرة التي تدل على عظم الدور الذى قامت وما تزال تقوم به الصحافة في بعث النهضة ، وما كان لها من تأثير بالغ في نشر الوعي بين الجماهير .

وكانت الصحافة العربية في بداية عهدها تساند المطالب الحق في انشاء حكم عربي مركزى ، فلقى العاملون في ميدانها المصاعب الكثيرة في عهد الاستبداد التركي ، الذى سبق اعلان الدستور . وكان طلب فتح جريدة ينتقل عدة سنوات بين المكاتب الحكومية . وكانت السلطات العثمانية تنظر للمطابع كخطر عليها ، ولهذا قام السلطان عبدالحميد (١٨٧٦ - ١٩٠٨) بمحاربتها ، وتم فرض العقوبات على كل من يستعملها (٩) . وتوقفت الصحف في فلسطين عن الصدور باندلاع الحرب العالمية الاولى ، ودخول الامبراطورية العثمانية الحرب . ولم تصدر طوال سنوات الحرب الاربعة . وظل الحال كذلك حتى بدأ الانتداب البريطاني عام ١٩١٩ فعادت الصحف الى مزاوله نشاطها من جديد .

الصحافة في العهد البريطاني :

عادت الصحافة الفلسطينية الى الظهور عام ١٩١٩ ، بانتهاء الحرب العالمية الاولى ، ودخول الانتداب البريطاني على فلسطين . وعاشت هذه الصحافة ظروفًا قاسية حاولت فيها تأدية رسالتها والوقوف صامدة أمام صنوف الاضطهاد والارهاب وخنق الحريات . فقد استمرت في عهد الانتداب البريطاني مجموعة القوانين العثمانية ضد الصحافة قائمة حتى عام ١٩٣٣ ، حيث وضع بعدها مجموعة أخرى من القوانين التي كانت أكثر تصلبًا ، اذ زادت من صرامة هذه القوانين بمجموعة التعديلات التي أدخلتها . وكانت دائرة التحقيق الجنائي لسلطة الانتداب ، هي المخولة بالاشراف على الصحف .

وظهرت الصحف الجديدة مثل سوريا الجنوبية سنة ١٩١٩ ، وكان يحرقها الاستاذ عارف العارف ، وكانت سياسية أدبية ، وعطلت بعد عام واحد من صدورها . كما صدرت في نفس العام جريدة مرآة الشرق للاستاذ بولس شحادة ، وكانت تصدر في أول عهدها باللغتين العربية والانجليزية ، ومن ثم صدرت باللغة العربية فقط ، وكانت تعتبر من أقوى الصحف الوطنية التي صدرت في فلسطين ، واشترك في تحريرها الاستاذ أحمد الشقيرى وأكرم زعيتر وعزيز شحادة واحتجبت عن الصدور عام ١٩٣٩ . وصدرت أيضا جريدة بيت المقدس للاستاذ بندلي الياس مشحور ،

وكانت تصدر مرتين في الاسبوع، وهي مجلة سياسية أدبية مستقلة، استمرت في الصدور حتى عام ١٩٢٦. وصدرت أيضا جريدة بيت لحم للاستاذ عيسى البندك ويوحنا دكرت، وكانت تحمل أخبار الوطن الى الجالية العربية في المهجر ودول أمريكا اللاتينية. وصدرت في عام ١٩٢٠ مجلة دار المعلمين للاستاذ نقولا حنا واشترك في تحريرها شريف القبح وعبد الحميد ياسين وتوفيق عبدالرزاق ورفعت الشهابي. وظهرت جريدة "الاقصى" للاستاذ صالح عبداللطيف، والقدس الشريف للاستاذ حسن صدقي الدجاني، ومجلة "الكلية العربية" للاستاذ أحمد سامح الخالدي. وظهرت في عام ١٩٢١ جريدة الوقائع الفلسطينية في مدينة القدس، وهي الجريدة الرسمية لحكومة فلسطين، وكانت تصدر باللغات الرسمية الثلاثة العربية والانجليزية والعبرية. وكانت تنشر البيانات والبلاغات والقوانين والانظمة الحكومية، واستمرت في الصدور حتى نهاية الانتداب البريطاني على فلسطين (١٠). وصدرت في نفس العام صحف لسان العرب للاستاذ عزت الاعظمي والاستاذ ابراهيم سليم النجار، وكانت هذه الجريدة هي الاولى والوحيدة التي تصدر في فلسطين يوميا في تلك الفترة. وصدرت جريدة الصباح للاستاذ محمد الديري والشيخ يوسف ياسين، وصوت الشعب التي أسسها عيسى البندك في بيت لحم عام ١٩٢١، وكانت تعمل على الدفاع عن حقوق الشعب الفلسطيني، وتسعى الى تقوية العلاقة بين الجاليات العربية في أمريكا والشعب الفلسطيني، وعظمتها سلطات الانتداب عدة مرات، وتوقفت عن الصدور عام ١٩٣٨.

وصدر خلال العشرينات عدد كبير من الصحف التي لم تعمر طويلا، منها جريدة روضة المعارف التي كانت تصدر عن مدرسة روضة المعارف في القدس، والقدس الجديدة، وهي مجلة دينية وأدبية، والروايات الاهلية للاستاذ بندلي الباس مشحور، والزنيقة، والاخبار الكنسية، ورقيب صهيون، والكرمة المصورة، والاعلان، والحكمة، والصفير، والجامعة العربية، وصهيون، والميعاد، وتراسنطة، وسانت جورج، والحياة (١١).

وكانت الصحف والمجلات تنشر المقالات والتعليقات التوجيهية، رغم ما كانت تتعرض له من تعطيل أبان الانتداب البريطاني. وتطورت الصحافة خلال فترة الانتداب بصورة مستمرة، على صورة الصحافة المصرية من حيث الشكل الادبي والفني. فلقد ظهرت جريدة فلسطين عام ١٩٢٨ بشكل جديد، وكان صاحب جريدة فلسطين أول من استقدم مطبعة وروتايف الى فلسطين وذلك حوالي عام ١٩٣٥. كما ظهرت بالإضافة الى المجلات والجرائد اليومية والاسبوعية، المجلات المتخصصة، مثل مجلة "العرب" عام ١٩٣٢، وكان يحرقها عجاج نويهض ومجلة الاقتصاديات العربية التي ظهرت عام ١٩٣٥، وكانت أحسن نشرة عربية اقتصادية. وقد أصدرت هذه المجلة شركة المطبوعات العربية المحدودة بالقدس، وكان رئيس تحريرها الاستاذ عادل جبر، وكانت تصدر مرتين في الشهر، وتعالج الموضوعات التجارية

الصحف الفلسطينية، وقد ملأت فراغا في الحياة السياسية في فلسطين ولاقت عنثا شديدا من سلطات الانتداب التي عطلتها مرارا. وصدرت عام ١٩٤٥ جريدة الوحدة وكانت نشرة أسبوعية ثم تحولت الى يومية. وظهرت جريدة الشعب عام ١٩٤٦. ولم تظهر خلال الحرب العالمية الثانية الا جريدتي الدفاع وفلسطين وذلك لاتباعهما لهجة وطنية معتدلة وللاستسلام لاغراض الانتداب البريطاني (١٢) .

وكان من جراء تطور الصحافة، ان اتسع ميدان العمل أمام الادباء الذين، أقبلوا على الكتابة فيها مثل، ابراهيم طوقان وعبدالكريم الكرمي وعبدالحريم محمود وسيف الدين الايراني وأسمى طوبى وغيرهم. واتسع ميدان الكتابة أمام الادباء والكتاب البارزين، وصاروا يستخدمون الصحف لنشر أفكارهم وخواطرهم. ولقد رأينا ان معظم الكتاب الذين كتبوا في صحف فلسطين، كانوا في الواقع من كبار أدباء العصر. ونظرة سريعة على بعض صحف تلك الفترة، تظهر لنا العديد من المقالات الادبية والابحاث الكثيرة المشبعة بطابع الادب، بالإضافة الى القصص والقصائد الشعرية. وكانت الحركة الادبية عن طريق الصحافة قد اكتسبت لنفسها قوة جديدة، فبعد أن كانت الكتابة في بداية عصر النهضة ترسخ تحت قيود الصناعة اللفظية المتكلفة، التي كانت تتضمن مختلف أنواع البديع والمحسنات اللفظية، ظهر في عصر الصحافة جيل جديد، عمل على الكتابة بلغة تحررت من قيود السجع والمحسنات اللفظية، وأصبح للصحافة لغة خاصة. كما أدى تهديد السلطات للصحف في تلك الفترة الى انصرافها الى الابحاث اللغوية والادبية.

وتطورت الكتابة الصحفية بمرور الايام، وأصبحت كتابة مميزة بأسلوبها المبتكر الحيوى السهل، والقريب من النفوس. ويجب ألا ننسى هنا الدور الكبير الذى قام به خليل السكاكيني و خليل بيدس وغيرهم من الادباء، بدعوتهم الى التجديد في اللغة والادب عن طريق الصحافة. كما ظهرت المقالات الاخرى التي تدعو الى الاصلاح الاجتماعي والديني والسياسي، وكانت جريدة فلسطين تتزود بالنشاطات الادبية من البلدان العربية القريبة والمجاورة. فقد كان عدد من كبار الادباء والشعراء، أمثال عباس محمود العقاد، و ابراهيم عبدالقادر المازني وأحمد الصافي وبشارة الخورى وغيرهم، يكتبون من الكتابة في صحف فلسطين (١٣) . كما عمل عدد من الكتاب والادباء من فلسطين، في الصحافة العربية خارج فلسطين، ولملت أسماءهم في عالم الصحافة العربية، كالاستاذ يوسف العيسى الذى عمل في صحيفة القبس في دمشق وعمل الاستاذ محمد على الظاهر في مجلة الشورى في القاهرة وكان محمد ابراهيم القلقيلي يدير جريدة الكوكب في القاهرة أيضا.

ومن الموضوعات الهامة التي شغلت بال الصحافة في عهد الانتداب، الحركة الوطنية الفلسطينية، والنهضة العربية، وظهور الحركة الثقافية. كما نالت مطالب

العرب المسيحيين في المشاركة في ادارة الكنيسة الارثوذكسية الشرقية مكانة هامة ، بالاضافة الى التضامن المسيحي الاسلامي في وجه وعد بلفور ، والهجرة اليهودية وحكم الانتداب (١٤) . واحتلت أخبار النوادي والجمعيات التي ساعدت على الاصلاح في الميادين السياسية والثقافية والدينية ، أعمدة الصحف المختلفة. كما حظيت الهجرة خارج البلاد باهتمام كل الصحف ، وظهرت محاولات لخلق روابط تربط المهاجرين بأرضهم (١٥) . وعالجت هذه الصحف باستمرار ، موضوع القوانين التي تحد من حرية الصحافة والرقابة عليها .

وتمركزت الصحافة العربية في عهد الانتداب البريطاني في منطقة القدس ويافا وحيفا ، حيث نشطت بصورة خاصة الحياة الاقتصادية والثقافية والسياسية والفكرية . وقامت محاولات أخرى في مدن عكا وبيت لحم وغزة ونابلس ورام الله . وكانت جريدة الكرمل التي أسسها نجيب نصار في حيفا ، وجريدة فلسطين التي أسسها عيسى العيسى في يافا ، أهم جريدتين لعبتا دورا في الحركة الادبية والثقافية والسياسية في فلسطين ، حتى أصبح محررو هذه الصحف ينطقون باسم الحركة الوطنية في البلاد .

وكانت جريدة فلسطين من أكبر الجرائد الفلسطينية عمرا ، ولقد تطورت حتى أصبحت أكثر الجرائد العربية قيمة . وعارضت سلطات الانتداب عام ١٩٢٠ إعادة اصدار فلسطين ، فنزع أحد صاحبيها وهو يوسف العيسى الى دمشق ، وأصدر هناك جريدة ألف باء في العام نفسه ، التي ظلت تصدر حتى اعلان الوحدة بين مصر وسوريا . وطالما أقام اليهود ضد جريدة فلسطين القضايا في المحاكم وطالما عطلتها سلطات الانتداب نتيجة لمهاجمتها الصهيونية والتنبيه على أخطارها .

وظهرت المجلات الانجليزية لفترة قصيرة من الزمن في بداية العشرينات والثلاثينات ، فلقد أصدرت جريدة فلسطين نشرة باللغة الانجليزية " The Arab Phedration " التي صدرت في مدينة القدس عام ١٩٣٥ ، وكان يحررها الاستاذ اميل الغورى وكانت تنطق بلسان الحزب العربي الفلسطيني وكانت تصدر أسبوعيا . وصدرت جريدة الاوقات العربية " The Arab Times " في مدينة القدس عام ١٩٣٥ وكان يحررها باللغة الانجليزية الاستاذ علي محي الدين الحسيني وتصدر أسبوعية . وأصدرت سلطات الانتداب صحيفة بثلاث لغات ، الانجليزية والعربية والعبرية وكانت تصدر أسبوعيا ، وكانت الانجليزية تدعى " The Palestine Post " وكانت العربية تسمى " جريدة فلسطين " وكانت تختلف الواحدة عن الاخرى ، وتوجه الى سكان البلاد وان كانت تصدر في القاهرة .

وفي خلال الحرب العالمية الثانية توقف العديد من الصحف عن الصدور كما

هاجر عدد آخر الى مصر بسبب الرقابة التي فرضت عليها من قبل السلطات ، كما كانت الصحف والمجلات تضطر للاحتجاب عن الصدور فترات الاضطرابات التي كانت تقوم ضد السياسة البريطانية.

الصحافة في العهد الاردني

تضعفت الصحافة العربية في فلسطين بعد الحرب العالمية الثانية، وتعرضت للتوقف أحيانا والاضطراب في الصدور أحيانا أخرى. وعند وقوع المأساة، نزح العديد من الصحف والمجلات مع أهالي فلسطين. وأخذت الصحف والمجلات التي كانت تصدر في حيفا ويافا، تصدر في عمان والقدس. واصطبغت الصحافة في عهد المملكة الاردنية الهاشمية، بالظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي كانت تميز تلك الفترة. وكانت تسهم في تأدية وظيفتها وفقا لتلك الظروف. وكانت تخصص زوايا خاصة بالمخضرمين والناشئين من الادباء وبالوطن السليب. كما كانت تثير العديد من المشكلات الفكرية والادبية. وكانت المجلات الادبية المتخصصة قليلة، ومن أهمها "الافق الجديد" التي كانت تصدر في القدس وكانت تنشر الموضوعات الادبية والنقدية والفكرية. وكانت تصدر في عمان مجلة اخرى باسم "أفكار" استقطبت أقلام كبار الكتاب، وحقت نجاحا في نشر الثقافة والادب. وكانت وزارة التربية والتعليم في الاردن تصدر رسالة المعلم في عمان، وكانت تهتم بالموضوعات التربوية والفكرية والادبية. وما زالت مجلة رسالة المعلم ومجلة افكار تصدران حتى الان.

وساعد ارتفاع نسبة المتعلمين بين الفلسطينيين، على القيام بنهضة أدبية وصحفية في العهد الاردني، الا أن الصحافة في ذلك العهد، لم تصل الى مستوى الصحف في البلدان العربية المجاورة، وبصورة خاصة في مصر ولبنان، الا انها مرت بتجارب طويلة واستفادت من خبرات الاشقاء العرب، اذ تمرس كثير من أبناء فلسطين في أعمال صحفية في الاردن، وفي غيره من البلاد العربية، مما هيا للصحافة ان تمارس نشاطها المحدود.

ولقد استمر عدد من الصحف الفلسطينية في الصدور في عهد المملكة الاردنية الهاشمية. فانتقلت جريدة فلسطين اليافاوية الى عمان في عام ١٩٥٠، واستأنفت صدورها بطلب من الملك عبدالله (١٧). وبعد سنة ونصف انتقلت الى مدينة القدس، محافظة على أسلوبها وطابعها الذي عرفت به. وكانت تعتبر من أقوى الصحف اليومية وأوسعها انتشارا. وانتقلت الجامعة الاسلامية بعد النكبة الى عمان وهي من كبريات صحف فلسطين، وقد كان أول من أسسها في يافا الشيخ سليمان التاجي الفاروقي عام ١٩٣٢، وتوقفت عن الصدور عام ١٩٤٩؛ واستمرت جريدة

أسبوعية سياسية أدبية، كانت تصدر في بيت لحم، ولكنها توقفت عدة مرات ثم عادت إلى الظهور عام ١٩٥٤، وتولى رئاسة تحريرها مازن البندك ثم يوسف البندك واستمرت في الظهور حتى عام ١٩٥٧.

وصدرت في بيت لحم عام ١٩٥١ مجلة المهد وهي مجلة، سياسية اجتماعية. وكان صاحبها ورئيس تحريرها الأستاذ أيوب مسلم، وكانت تصدر نصف شهرية. وقد استمرت في الصدور حتى عام ١٩٥٦، وكان مجموع ما صدر منها ٥٤ عدداً. وكانت هذه المجلة تعنى بتوطيد العلاقة بين أبناء الوطن والمغتربين في ديار المهجر الأمريكي. وقد صدرت أعداد هذه المجلة في السنتين الأخيرتين باللغتين الإسبانية والعربية. وصدرت في مدينة القدس عام ١٩٤٨ جريدة الصريح، وهي أسبوعية سياسية وصاحبها هاشم السبع، وتوقفت عن الصدور عام ١٩٥٨، ولم يكن صدورها منتظماً، لأنها كانت تتعرض كثيراً للتعطيل نظراً لحدة أسلوبها. وامتازت هذه الجريدة بأسلوبها الانتقادي الفكاهي الساخر. وصدرت في مدينة الخليل مجلة أسبوعية سياسية اجتماعية أدبية تحمل اسم صوت الخليل، أصدرها الشيخ محمد علي الجعبري سنة ١٩٥٠، وتوقفت عن الصدور بعد عام. وتأسست في مدينة القدس عام ١٩٥٣ جريدة الجهاد، وهي جريدة يومية سياسية مصورة، أسسها محمود أبو الزلف وسليم الشريف ومحمود يعيش، وكانت من الصحف القوية، وخطت خطوات جبارة في تقدم الفن الصحفي. وصدرت عن دار الجهاد في عام ١٩٦٠ جريدة يومية مسائية باسم المساء. وصدرت في مدينة بيت لحم مجلة أسبوعية إخبارية عام ١٩٥٤ باسم بيت لحم، باللغات الفرنسية والانجليزية والإسبانية والعربية، وكان صاحبها جبران فرنسيس ناصر ورئيس تحريرها الدكتور ميشيل عبدالله دبدوب، وكانت غايتها توثيق الصلة بين أبناء الوطن والمهاجرين، وتوقفت عن الصدور عام ١٩٥٦، وعادت إلى الصدور مرة أخرى عام ١٩٥٩. وصدرت في القدس عام ١٩٤١ نشرة إخبارية باللغتين العربية والانجليزية تحمل اسم الانباء العربية وفي عام ١٩٤٨ انتقلت إلى عمان بعد احتجاب أكثر الصحف اليومية، بسبب أحداث النكبة، وأخذت هذه النشرة تصدر على شكل صحيفة يومية.

ومن الصحف الأخرى التي استمرت في الظهور، البعث التي صدرت في القدس عام ١٩٤٨، لصاحبها عبدالله الريماوي وعبدالله نعواس، ومجلة الهدف وهي مجلة سياسية أسبوعية، صدرت في القدس عام ١٩٥٠، وجريدة البلاد وهي سياسية إخبارية، صدرت في القدس عام ١٩٥١، ومحررها المسوؤل السيد داود بندلي العيسى، وجريدة الشباب وهي سياسية أسبوعية صدرت في نابلس عام ١٩٥١، ولم يصدر منها سوى بضعة أعداد، والوطن وصدرت في رام الله عام ١٩٥٤، والمصالح القروية وصدرت في رام الله عام ١٩٥٣، والأرض المقدسة وهي مجلة شهرية دينية اجتماعية أصدرتها حراسة الأرض المقدسة في القدس عام

١٩٤١، وهي تصدر بالعربية والانجليزية والفرنسية والايطالية والاسبانية. والجرائد والمجلات التي صدرت وتوقفت عن الصدور كثيرة نذكر منها مجلة فتاة الغد التي أصدرتها جمعية الفتاة في رام الله، وكانت هذه هي المجلة النسائية الوحيدة في البلاد. وقد صدرت عام ١٩٥٠، واستمرت في الصدور حتى عام ١٩٥٥، وكانت تعالج مشكلة المرأة العربية خاصة والمجتمع عامة. وكانت هذه المجلة شهرية وتولت رئاسة تحريرها بهية الخليل. وصدرت جريدة الشباب والطريق والوطن والمنار وغيرها. وقد صدر في نفس الفترة عدد كبير من الصحف الدينية والرياضية والمدرسية والاجتماعية التي لم يكن لها أثر بارز في تاريخ وتطور الصحافة.

الصحافة في عهد الاحتلال :

توقفت الصحف التي كانت تصدر في الضفة الغربية بعد الاحتلال الاسرائيلي عام ١٩٦٧، وتوجه عدد من الادباء الى الكتابة في الصحف والمجلات العربية التي كانت تصدر في اسرائيل مثل مجلة الشرق .

وفي ١٩ تشرين الثاني ١٩٦٨ صدرت أول جريدة عربية في القدس وهي جريدة "القدس" والتي كانت تصدر قبل الاحتلال باسم الجهاد، ومحررها وصاحبها محمود أبو الزلف . ولم تستطع هذه الصحيفة ان تلعب الدور الذي كان بإمكانها ان تلعبه في دفع الحركة الثقافية والادبية والسياسية المحلية الى الامام .

وفي ٧ نيسان عام ١٩٧٢ ظهرت جريدة الفجر ومحررها وصاحبها يوسف نصرى نصر، وظهرت في البداية اسبوعية ثم أصبحت يومية. واستطاعت هذه الجريدة بعد فترة قصيرة من صدورها ان تلعب دورا هاما في الحركة الادبية. وقد أفرد للادب الفلسطيني فيها حيز ساعد على وضع الاسس الاولى للحركة الادبية في الارض المحتلة. وساعد روءساء تحرير هذه الجريدة على استقطاب الحركة الادبية.

وفي ٢٣ تموز من نفس العام صدرت جريدة الشعب وصاحبها ورئيس تحريرها محمود يعيش. وقد تولى رئاسة تحريرها في البداية علي الخطيب ثم أكرم هنية وحسين جميل البرغوثي ثم عادل الاسطة، وكان الدور الذي لعبته الشعب في دعم الحركة الادبية متواضعا بالقياس الى جريدة الفجر .

وفي ٢٣ تشرين الثاني ١٩٧٦ صدرت جريدة الطليعة الاسبوعية ورئيس تحريرها بشير البرغوثي، ومنعت منذ اليوم الاول من التوزيع في الضفة والقطاع، لالتزامها بفكر وخط سياسي واضح لم يتغير. ولقد حاولت الاسهام من خلال صفحاتها

الادبية وملحقها الشهري المتخصص بالقضايا الفكرية والاجتماعية والاقتصادية في دفع الحركة الثقافية والادبية الى الامام .

وفي عام ١٩٧٩ صدرت جريدة الميثاق ويحررها محمد الخطيب نجل علي الخطيب ورئيس تحرير جريدة الشعب سابقا . ورغم تواضع دورها فانها تساهم في دفع الحركة الادبية والثقافية .

وفي قطاع غزة ظلت الحياة الصحفية محدودة جدا ، ولقد أصدر المحامي زهير الريس مجلة العلوم ثم الاسبوع الجديد ثم اصدر محمد خاص مجلة الشروق ، ثم اصدر جميل الشوا جريدة الشرق الاوسط . وما لبثت هذه المجلات ان توقفت عن الصدور لانها بقيت محدودة الانتشار ، ولهذا فانها لم تساهم بصورة فعلية في الحركة الثقافية والادبية .

وظهرت في فترة الاحتلال مجلات عديدة ولكنها لم تستطع أن تلعب دورا هاما في الحركة الادبية، منها مجلة ألوان التي صدرت في القدس وحررها كل من الشاعرة ليلي علوش وابراهيم دعبس ومحمد عبدالسلام ، ثم مجلة فتاة فلسطين ومحررها توفيق نصار ، والتي صدرت لمدة عامين ثم توقفت . ثم مجلة الصرح ومحررها يحيى عبدره التي صدرت لمدة عامين ثم توقفت عن الصدور . كما اصدرت هند الكرد مجلة متخصصة للأطفال غير انها توقفت عن الصدور .

ولم تصمد هذه المجلات طويلا لانها كانت بعيدة عن هموم الناس ومشاكلها الاساسية ، بالاضافة الى انها لجأت الى تقليد المجلات والصحف العربية ، وتعرضت للموضوعات المختلفة بصورة صحفية سريعة دون تعمق . أضف الى ذلك ، ضعف الامكانيات المادية والمعنوية التي كانت تصادفها .

وفي عام ١٩٧٦ صدرت مجلة البيادر ومحررها جاك خزمو ، وكانت هذه المجلة بداية مرحلة جديدة في الحياة الادبية والثقافية ، اذ استطاعت ان تبلور حركة ادبية جادة ، وقد شارك في تحريرها عدد من الادباء والشعراء . وفي عام ١٩٧٦ صدرت أيضا مجلة الشراع وصاحبها ومحررها مروان العسلي ، ولكنها توقفت عن الصدور ثم عادت ثم توقفت مرة اخرى في عام ١٩٨٣ . وفي عام ١٩٧٩ صدرت مجلة الكاتب وفي عام ١٩٧٨ صدرت مجلة الفجر الادبي بشكل ملحق شهري بجريدة الفجر اليومية . وقامت مجلة الكاتب والبيادر والفجر الادبي بدور رائد في دفع الحركة الادبية خلال السنوات الاخيرة .

ولم تستطع الصحف اليومية الرئيسية الثلاثة القدس والفجر والشعب تحقيق مهامها بالشكل الكامل ، فلقد اتخذت النهج التقليدي في تحريرها ، الا انها

ساهمت في الحياة الثقافية والعلمية والادبية بشكل فعال . واجتهدت كل صحيفة في تطوير شكلها واتخذت ابواباً ثابتة مثل الاخبار والتحليلات السياسية وكلمة العدد وبعض الاخبار الاخرى . وكانت تصدر في أربع صفحات ويغلب عليها الطابع الاخباري ، وكانت تعاني من مشكلات أساسية تتمثل أولاً في الرقابة المفروضة عليها ، وضعف نسبة التوزيع ، بالإضافة الى فقدان الثقة بها أحياناً ، لعدم توفر المواد الكافية التي تهتم القارئ المحلي ، بالإضافة الى ضعف نسبة القراء . وبصورة عامة يمكن أن نقول أن ما تتميز به هذه الصحف أنها كانت لا تسير العصر والتطور الفكري والادبي والثقافي .

خاتمة

لقد عاشت الصحافة الفلسطينية في عهدها المختلفة في دائرة ضيقة ، لان الظروف التي احاطت بها هي التي حددت الاطار العام والخاص في كثير من الاحيان . الا انها ادت في ميدان الثقافة والادب والعلم دوراً لا يستهان به في التثقيف والتوعية . . ولا شك في أن الحرية تشكل العامل الفعال في تطوير الصحافة وامدادها بتيارات قوية في تأدية رسالتها ، ولكن قلما نجد صحافة في العالم لا تترعى بها قوة قانون الرقابة ، فحرية الكلمة في الصحافة هي المعيار الحقيقي لحرية الانسان .

ويمكن ان نقول ان ارتباط الادب بالصحافة قد رفع قيمتها وأبعدها عن الصحافة كبضاعة أوحرفة تخضع لقانون العرض والطلب ، بل جعل منها صحافة ملتزمة برسالة ومبادئ . . وكانت لهذه الصحافة في فلسطين مدارس ثقافية تتلمذ عليها الكثيرون من الادباء . فقد دارت على صفحاتها طائفة من المناقشات والمساجلات الادبية بين المفكرين والادباء . ولا ريب في أن الصحافة في فلسطين كانت ذات أثر كبير في بعث النهضة الادبية والثقافية في العالم العربي من خلال نشرها الافكار الحديثة ، وإذاعة المقالات المفيدة ، ووضع الثقافة في متناول الجميع .

وتعد دراسة الحياة الصحفية في فلسطين ، مقدمة لدراسة الحياة الادبية والثقافية فيها ، ذلك أن الصحافة مهدت لنهضتها ، وكانت وثيقة الصلة بالادب كغيرها في البلاد العربية . ولقد نشأت الصحافة نشأة أدبية صرفة ، وكان غالباً ما يشرف على تحريرها أدباء مرموقون أو شعراء اشتهروا بتعمقهم في الادب ، أو ممن اتسمت كتاباتهم بالروح الادبية . ولهذا فان دراسة الحياة الادبية وثيقة الصلة بحياة الصحافة في فلسطين .

الحواشي

- ١ . أديب مروة، الصحافة العربية نشأتها وتطورها، ص ١٣١
- ٢ . المصدر السابق، ص ١٣٥
- ٣ . انظر في: نجيب العقيقي، الادب المقارن ج ٢، ص ١٤٤
- ٤ . أديب مروة، المصدر السابق، ص ١٤١
- ٥ . المصدر السابق، ص ١٤٤
- ٦ . أحمد خليل العقاد، الصحافة العربية في فلسطين، ص ٨٠
- ٧ . اديب مروة، المصدر السابق، ص ٢١٧
- ٨ . يعقوب يهوشع، تاريخ الصحافة الغربية في فلسطين في العهد العثماني، ص ١٦٣
- ٩ . المصدر السابق، ص ١٦٣
- ١٠ . أحمد خليل العقاد، المصدر السابق، ص ٩٣
- ١١ . د. م. الصحافة في بيت المقدس، جريدة فلسطين، ٢ آب ١٩٥٥
- ١٢ . أنظر: جريدة فلسطين عام ١٩٣١
- ١٣ . المصدر السابق، عام ١٩٣١ - ١٩٣٤
- ١٤ . المصدر السابق، ١٩٢٥ - ١٩٣٠
- ١٦ . أحمد خليل العقاد، المصدر السابق، ص ١١٢
- ١٧ . سليمان موسى، الصحافة الاردنية في أربعين عاما، ص ٩

المراجع العربية

- جريدة فلسطين (١٩١١ - ١٩٦٧)
- العقاد (أحمد خليل)، الصحافة العربية في فلسطين، عمان، ١٩٦٦.
- العويدات (يعقوب)، "البدوى المثلث"، من أعلام الفكر والادب في فلسطين، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان، ١٩٧٦.
- العقيقي (نجيب)، الادب المقارن، المكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، ١٩٧٦.
- ياغي (عبدالرحمن)، الادب الفلسطيني الحديث، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٨.
- يهوشع (يعقوب)، تاريخ الصحافة العربية في فلسطين في العهد العثماني، ١٩٠٨ - ١٩١٨، مطبعة المعارف، القدس، ١٩٧٤.
- مروة (أديب)، الصحافة العربية نشأتها وتطورها، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦١.
- موسى (سليمان)، "الصحافة الاردنية في أربعين عاما"، رسالة الاردن، تشرين الاول ٥٩، ص ١ - ١٩.

المراجع الاجنبية

Adnan Ayyub Musallam, *Bethlehem's Intellectual and Press History 1919 - 1948*, Ann Arbor, 1981